المرأةُ والطفلُ في الإسلامِ .. كرامةٌ مصونةٌ وحقوقٌ واجبةٌ



بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يتعارف العالم على أيام يخصّها بقضايا تستحق أن يلتفت الناس إليها، ومن هذه الأيام اليوم العالمي للطفل في العشرين من نوفمبر، واليوم الدولي للقضاء على العنف ضد المرأة في الخامس والعشرين منه. وقد بيّن الإسلام مكانة المرأة والطفل، وأوجب لهما حقوقًا تظهر آثارها في حسن المعاملة والرعاية والحماية من الأذى. قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

حقوق المرأة في الإسلام

للمرأة كرامتها الإنسانية وأهليتها في التكليف والتصرف، ولها حقوقها في الأسرة والمجتمع. وقال نبينا محمد ﷺ «إنما النساء شقائق الرجال». ومن حقوقها في الحياة الزوجية ما بيّنه الله تعالى بقوله ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228].

وقد أكرم الإسلام المرأة في أدوارها كلها. فهي الأم التي قدّم النبي ﷺ حقها في حسن الصحبة، فقال لمن سأله عن أحق الناس بحسن صحابته «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك». وهي البنت التي حثّ على الإحسان إليها وتربيتها، والزوجة التي قال في حقها رسول الله ﷺ «خيركم خيركم لأهله». وجعل لها في الزواج مهرًا تستحقه، وأوجب استئذانها في زواجها، وجعل السكن والمودة حقًّا يتبادله الزوجان، فقال سبحانه ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: 187].

وحمى ذمتها المالية، فلا يؤخذ مالها إلا بطيب نفس، وجعل لها في الميراث نصيبًا معلومًا. وقال رسول الله ﷺ «اللهم إني أُحرِّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة». [أي: أُضَيِّقُ على النَّاسِ في تَضييعِ حَقِّهم، وأُشَدِّدُ عليهم في ذلك، وأُحَذِّرُهم من الوُقوعِ في ظُلمِهم].

وكان للمرأة منذ فجر الإسلام حضورٌ في العلم والعمل، فكانت خديجة رضي الله عنها أولَ من آمن بالرسالة، ومن نساء المسلمين عالِماتٌ ومعلِّماتٌ ومجاهداتٌ وحكيماتٌ.

والأسرة في الإسلام محضن القيم وأول موضع يتعلم فيه الإنسان الرحمة وحسن المعاملة. قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]. فالبيت سكن يأوي إليه القلب بعد عناء الطريق، والأسرة لبنة أولى يُبنى عليها المجتمع. وجعل الإسلام الزواج ميثاقًا غليظًا يقوم على الرضا، وأمر بالعشرة بالمعروف، وحرّم الإيذاء والخيانة، وشرع الإصلاح بالحكمة عند الخلاف. قال تعالى ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128].

حقوق الطفل في الإسلام

ومن حقوق الطفل أن تُصان حياته، ويُحفظ نسبه، ويجد من يرعاه ويقوم على حاجاته. وقد شرع الإسلام أحكام الرضاعة والنفقة والحضانة والكفالة، وجعل رعاية الطفل مسؤولية يُسأل عنها من يتولاها. قال تعالى ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 233]، وقال سبحانه ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ [الإسراء: 31]. وأوصى نبينا ﷺ بالرحمة بالصغير فقال «ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا»، وجعل كفالة اليتيم من أعظم القربات، فقال ﷺ «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»، وأشار بالسبابة والوسطى.

وننطلق في بيان هذه الحقوق من مرجعيتنا الإسلامية. وعند النظر في وثائق دولية مثل اتفاقية «سيداو»، نزن ما تتضمنه من أحكام وتصورات بهذه المرجعية، وانظر إلى ما تطلبه هذه الاتفاقية من: التماثل والتطابق التام بين الرجل والمرأة وإبطال الأحكام الدينية التي تميز بين الجنسين، وتغيير الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة، والمساواة بين الرجل والمرأة [إلغاء تعدد الزوجات، إلغاء العدة الشرعية للمرأة في حالتي الطلاق ووفاة الزوج، إلغاء مبدأ الولاية على المرأة في الزواج، إلغاء مبدأ الالتزام المتبادل المترتب على عقد الزواج]. وغير ذلك.

إن اتفاقية «سيداو» هي إملاء غربي بحت وأبعد ما تكون عن معنى الاتفاقية، وتستهدف بالأساس إضعاف تماسك الأسرة، فهي جزء من تطبيق العولمة الثقافية التي تهدف لإلجاء الأمم كافة لتبني النموذج الغربي في تصوره للمجتمع والأسرة والعلاقة بين الرجال والنساء.

ونرى أن تطبيق ما يخالف أحكام الإسلام في شؤون الأسرة من بنود مثل هذه الاتفاقيات يخلّ بالتوازن بين حقوق الزوجين وواجباتهما كما نص عليه الإسلام، ويضعف تماسك الأسرة المسلمة، ويحرفها عن الغاية التي أرادها الله لها. وفي هذا ما فيه من إفساد للأسرة والمجتمع، ونكوص عن فطرة الله التي فطر الناس عليها.

إلى نساء غزة وأطفالها

أتوجه بكلماتي هذه إلى أختي الفلسطينية في غزة:

أيتها العزيزة الشامخة، يا من فقدت بيتكِ أو زوجكِ أو بعض أبنائك، ويا من تحتضنين أطفالكِ بين الخيام والركام، إن معاناتكِ تُرى، وتنفطر لها القلوب، وإن صبركِ لا يضيع عند الله. فمنذ أكتوبر 2023، فقدت أمهاتٌ أبناءهن، وترمّلت نساء كنّ يقتسمن الرغيف مع أزواجهن، وتيتّم أطفال لم يعرفوا بعد معنى الأمان. ونصرة المستضعفين أمانة في أعناق هذه الأمة. نسأل الله أن يسبغ عليكنّ الصبر، ويربط على قلوبكنّ، وقد قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

وأتوجه إلى شعوب أمتنا العربية بالنظر في معاناة أطفال غزة. فلا تجعلوا طول الأيام تَطوي ذكراهم، ولا يحجب تكرارُ أخبارهم عنّا فداحةَ ما يعيشونه.. فمنهم من فقد حياته، ومنهم من فقد أباه أو أمه، ومنهم من تركت الجراح في جسده ونفسه أثرًا لا يُنسى. ولكل طفل منهم حق في أن ينام آمنًا في بيته، وأن يتعلّم ويجد الرعاية التي يحتاج إليها. وفي إدانة وأد البنات قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: 9–8]. فكيف نغفل عن أطفال قُتلوا، وعن آخرين يواجهون الجوع والعطش والخوف؟

وإن جماعة الإخوان المسلمين تدعو الحكومات العربية إلى تحمّل مسؤولياتها في حماية المدنيين في غزة، والعمل على فتح المعابر وإيصال الغذاء والدواء، وتوفير العلاج للمصابين والمأوى للنازحين. وتدعو شعوبنا العربية إلى بذل ما تستطيع من عون، وإيصال أصوات نساء غزة وأطفالها إلى العالم والجهات الإنسانية المعنية.

إلى المعتقلات في السجون المصرية

وإليكِ، أختي خلف أسوار السجون المصرية، أيتها الصابرة المظلومة، أعلم أن الليل قد طال، وأشعر بثقل الأيام التي تمرّ عليكِ. لكنكِ لستِ وحدكِ. فقضية المعتقلين والمعتقلات في صدارة أولويات جماعة الإخوان المسلمين، وهي تسعى، بالتعاون مع القوى الوطنية، إلى التعريف بقضيتكنّ وإيصال

أصواتكنّ، ورصد ما تتعرض له من انتهاكات وتوثيقه وإبلاغ الجهات الحقوقية المعنية في مصر والعالم.

ولا تتوقف ألسنتنا عن الدعاء لكِ، أختي الصابرة المحتسبة، أن يفرّج الله كربكِ، ويردّكِ إلى أهلكِ وأبنائكِ سالمة عزيزة مكرّمة.

وختامًا، أسأل الله العلي الكبير أن يحفظ النساء والأطفال، وأن يرحم الشهداء، ويشفي الجرحى، ويجبر كسر الثكالى والأيتام، وأن يجعل بيوتنا عامرة بالسكينة والمودة والرحمة.

الدكتور صلاح عبدالحق

القائم بأعمال فضيلة المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين

الجمعة 10 جمادى الآخرة 1448 هـ الموافق 20 نوفمبر 2026 م